جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

السومريون

محاضرة لطلبة المرحلة الاولى
مادة تاريخ العراق القديم

ا.م.د. انتصار نصيف شاكر

*

الحضارة السومرية

من الحضارات القديمة المعروفة في جنوب بلاد الرافدين وقد عرف تاريخها من الألواح الطينية المدونة بالخط المسماري. وظهر اسم **سومر** في بداية الألفية الثالثة ق.م. في فترة ظهور الحيثيين لكن بداية السومريين كانت في الألفية السادسة ق.م. حيث استقر شعب العبيديين بجنوب العراق وشيدوا المدن السومرية الرئيسية كأور ونيبور ولارسا ولجش وكولاب وكيش وإيسن وإريدو واداب (مدينة). واختلط العبيديون بأهل الشام والجزيرة العربية عن طريق الهجرة أو شن غارات عليهم. وبعد عام ٣٢٥٠ ق.م. وكانت خاصة بهم وابتكروا الكتابة على الرقم الطينية وهي مخطوطات ألواح الطين (انظر مسمارية). وظلت الكتابة السومرية ٢٠٠٠ عام، لغة الاتصال بين دول الشرق الأوسط في وقتها.

التسمية

تطلق سومر على الأراضي التي أطلق عليها بعد ٢٠٠٠ ق.م. اسم بلاد بابل. وسهل بلاد شنعار هو أراضي ما بين النهرين، التوأمين، دجلة والفرات. وقد أطلق الإغريق على هذه الأرض اسم (ميزوبوتاميا)، وهي كلمة تعني بلاد ما بين النهرين. ويشكل أغلبها اليوم جزءاً من دولة العراق الحديثة، برغم أن الفرات يرتفع من سوريا، ودجلة في تركيا. وفيما بين الحدود التركية وجبال أرمينيا في الشمال حتى الخليج العربي في الجنوب، يمتد ما يقرب من ستمائة ميل، هي المساحة التي تمتد من أبردين إلى دوفر. وفيها بين الصحراء السورية في الغرب وجبال فارس - جبال زاجروس - في الشرق ما يقرب من مائة إلى مائة وخمسين ميلاً. في هذه المنطقة، وبالذات في الجنوب منها، تحققت الحضارة السومرية في الوجود في النصف الثاني من الألفية الرابعة ق.م .

أصلهم

(السومريون) لا نعرف الكثير عن اصول السومريين وقد افترض العلماء الكثير من الفرضيات في شأنهم. بعض الباحثين العراقيين يعدونهم من الاقوام الذين هاجروا من شمال العراق إلى جنوبه، معترفين بأصولهم الجبلية. ولكن هذا الرأي يتنافى مع ماذكره السومريون أنفسهم عن أصلهم كما ورد في أحد الألواح الطينية السومرية ونقله الباحث العراقي أحمد سوسة (ما نقله السومريون عن أنهم تركوا موطنا في ارض جبلية يمكن الوصول إليها بحراً)، حيث إن شمال العراق ارض جبلية ولكن لايفصلها عن جنوب العراق أي بحر. وبعد هجرتهم

حلوا في الجنوب عند مصبي دجلة والفرات حوالي العام ٣٢٠٠ ق.م، وهناك أسسوا مدناً هي ممالك مستقلة أشهرها: أور، أوروك، اوما وغيرها. وتفصل المستنقعات بين هذه المدن، ولكنها تتصل بأقنية ممهّدة. ويرى آخرون أن السومريين من الأقوام التي هاجرت من جنوب العراق (الجزيرة العربية) لتؤسّس موطناً بديلاً لها في انحسار العصر الجليدي الأخير الذي بدأ فيه تصحّر الجزيرة العربية بينما كانت مستنقعات الرافدين تجفّ لتتحول إلى أرض صالحة للاستيطان والاستزراع، ويذهب أحد أهم المدافعين عن هذا الرأي وهو عبد المنعم المحجوب في كتابه ما قبل اللغة إلى أن الأقوام التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى الرافدين، تزامن ترحالها مع الأقوام التي هاجرت من الصحراء الكبرى إلى وادي النيل، وأن هذه الأقوام تشكّل الطرف الشرقي والغربي للحوض الأفروآسيوي الذي كان يتحدّث لغة واحدة هي السومرية بلهجات متعدّدة. وهذا الرأي -إن صح- فهو يعني ان السومريين أقوام سامية تعتبر من أسلاف العرب الحاليين.

خلال القرون التي تلت الهجرة السومرية نمت الدولة وتطورت في الفنون والعمارة والعلوم. تتحدث النصوص السومرية عن المدن التي حكمت في الجنوب وان المصدر المهم لدراسة الحقبة السومرية هو قائمة من الملوك السومريين. وتتحدث القائمة عن الدويلات السومرية وكأنها متعاقبة زمنيا لكن الواقع التاريخي يشير إلى انها تعاقبت جزئيا أو كليا فعلى سبيل المثال نعرف ان حاكم أوروك گلگامش كان معاصر لحاكم كيش المدعو اكا (Agga). أول سلالة سومرية حاكمة كما يقول الإثبات السومري هي مدينة كيش التي يورد لها ٢٣ ملكا نصفهم اسماءهم سامية (جزرية)، وأبرز حكامهم هو إيتانا، والذي نمتلك عنه أسطورة تتحدث عن صعوده على ظهر نسر إلى السماء. أعقبتها سلالة اوروك بدلالة الإثبات رغم أن اخر ملوك كيش المدعو اكا كان معاصر لخامس حكام اوروك گلگامش. وترتبط بالأخير عدد من الملاحم السومرية التي تمكن العلماء من التعرف على ستة منها، وفي العصر البابلي القديم تم صهر هذه الملاحم مع اضافات اكدية لتظهر ملحمة گلگامش الشهيرة.

وقبل القرن ٢٥ ق.م. قامت الإمبراطورية السومرية بقيادة لوجلالمند وبمدينة أداب (٢٥٢٥ ق.م – ٢٥٠٠ ق.م). وكانت تمتد من جبال طوروس حتي جبال زاجروس ومن الخليج العربي وحتي البحر الأبيض المتوسط. وعاشت سومر فترة اضطرابات داخلية حتى القرن ٢٣ ق.م.

المدن

في القرن الرابع قبل الميلاد قسمت سومر إلى عدة مدن مستقلة ومنها:

- إريدو
- باد تيبيرا
- لارسا
- سيبار
- شوروباك

ومن المدن الرئيسية في البلاد:

- كيش
- أوروك
- أور
- اوما
- لجش
- أداب
- بورسيبا
- دير
- احادة
- نفر
- عيلام
- براخشي
- إيسن

قائمة ملوك سومر

وهي من إحدى أكثر الآثار العالمية غرابة، وهي عبارة عن صحيفة حجرية منقوش عليها أخبار الأرض على مدى ٤٠٠ ألف سنة سبقت السومريين، هذه الصحيفة تذكر بالصحف المحفوظة في خزائن الملك والتي لا يصل إليها يد التحريف والمعلومات التي فيها تشير إلى أن السومريين كانوا يقسمون التاريخ إلى قسمين، ما قبل الطوفان وما بعد الطوفان.

تقول الصحيفة ان الالهة الأولى «من السماء إلى الأرض جاءوا» An unna ki وهم ثلاثة ترسمهم اللوحات الجدارية مع مركبات مجنحة. هؤلاء الثلاثة يطلق عليهم أسماء: نفليم، إلوهيم، والغريب إن أسم إلوهيم نفسهُ ذكر في التوراة اليهودية.

والآلهة الثلاثة أعلاه هم أبناء إله واحد وتتوجه إليه الموشحات الدينية بصيغة توحيدية. إن الإله الأصلي لدى السومريين كان يسكن أحد الكواكب، وبالذات كوكب نيبرو، ومنه جاءت أبناء الالهة إلى الأرض. (في الحضارات اللاحقة أصبح اسم هذا الكوكب مردوخ، على اسم الإله الأعظم).

وحسب القصة السومرية، كانت السنة الواحدة على كوكب نيبيرو تعادل ٣٦٠٠ سنة. وكان يطلق عليها وحدة «سار». عندما وصلت الآلهة الأولى إلى الأرض كان عمرها ١٢٠ سار، مما يعني ان عمرها ٤٣٢ الف سنة بالزمن الأرضي.

في جداول دونتها ملوك عصر فجر السلالات السومرية (عصر فجر السلالات من ٢٨٥٠ وحتى ٢٤٠٠ ق.م) جاء أسماء الملوك ومدة حكم كل منهم ومآثرهم. ثمانية ملوك سومريين حكموا سومر مايقرب ربع مليون سنة، أي ان متوسط حكم كل واحد منهم يزيد عن ٣٠ ألف سنة. واللوحات الطينية تحدثنا ان عمر الإنسان قبل الطوفان كان يصل إلى أكثر من ألف سنة في حين إن عمره بعد الطوفان أصبح لايتجاوز المائة عام. وهو ما يتطابق مع ما ذكر بالتوراة (انظر سفر التكوين، الإصحاح الخامس).[٥]

الأكديون

وحتى إجتاحها الملك السامي سرجون الأول (2335) (Sargon) وهو في الأكدية Sharru-kinum ق.م. –٢٢٧٩ ق.م.) ومعنى اسمه الملك الثابت أو الصادق وأسس عاصمة جديدة سماها آجادة Agade بأقصى شمال بلاد سومر. وكانت في أيامه أقوى وأغنى مدينة في العالم بوقتها. واندمج الغزاة وأهل شمال بلاد سومر وانصهروا مكونين شعب أكديون. وأصبح يطلق عليها بلاد سومر وأكد. واستمر الحكم الأكدي حوالي قرناً. وكان عهد الأكديين قد استغرق قرناً. أثناء حكم حفيد سرجون الملك نارام سين ومعنى اسمه محبوب الإله سين (٢٢٧٩ ق.م. –٢٢١٨ ق.م.) ولقد نزح الجوتيون من جبال زاجروس واستولوا على مدينة آكد وبقية مدن سومر. لكن السومريين بعد عدة أجيال طردوهم. وحصلت سومر على استقلالها على يد ملك مدينة اوروك أوتو حيكال ومعنى اسمه الاله اوتو - جالِب الخير (حكم من ٢١٢٠ ق.م.- ٢١١٢ ق.م.). وأعقبه أحد قادته أور نمو بالعهد الثالث بمدينة أور. وخلفه إبنه شولجي (٢٠٩٥ ق.م.-٢٠٤٧ ق.م.). وكان قائدا عسكريا ومصلحا اجتماعيا كأبيه وأديبا. ووضع قانونا قبل قانون حمورابي بثلاثة قرون، وفتح المدارس والجامعات.

وفي بداية الألفية الثالثة ق.م. جاء العيلاميون من جنوب شرق بلاد سومر وأكاد. واستولوا على أهم مدنها، كإيزين وسيركا وأور واسروا حاكمها وسيطروا بشكل كامل مكونين حضارة امتدت حتى جاء حمورابي ملك بابل وتغلب على العيلاميين عام ١٧٦٣ ق.م. وأصبح الحاكم الوحيد لبلاد سومر وأكاد بعدما ضمهما لبابل لتظهر الحضارة البابلية. والحضارة السومرية التي خلفت آلاف الألواح المسمارية باللغة الأكادية. ومنذ أوائل الألف الخامس ق.م. شهد ما بين النهرين السهل الرسوبي في العراق (دلتا الرافدين) الانتقال من القرى الزراعية إلى حياة المدن. ففي هذا السهل قامت المدن الأولى مثل أريدو وأور والوركاء(وركا). وفي هذه المدن كانت بدايات التخطيط للسيطرة على الفيضانات، وإنشاء السدود وحفر القنوات والجداول. وفي هذا السهل كانت فيه شبكة القنوات معجزة من معجزات الري. مما جعل السومريين هم بناة أقدم حضارة في التاريخ. وفي حدود سنة ٣٢٠٠ ق. م. ابتكر السومريون الكتابة ونشروها في عدة بلدان شرق أوسطية، وقامت في بلاد سومر أولى المدارس في التاريخ.

قائمة الملوك السومريون

تعد قائمة الملوك السومريون من الألواح الأكثر اهمية ومنفعة في تاريخ بلاد سومر رغم أن سنين الحكم فيها مبالغ فيه في أوائل الملوك عدد سنين الحكم في المسلة غير معقول ويمكن عدم اعتماده في الملوك الأوائل ولكن ذكرناه التزاما بالنص واليكم نصها: بعد أن هبطت الملكية من السماء أصبحت إريدو مقر الملكية في اريدو حكم (الوليم)٢٨٨٠٠ سنة وحكم (لجار)٣٦٠٠٠ سنة - ملكان حكما ٦٤٨٠٠ سنة ثم هجرت إريدو ونقلت ملكيتها إلى باد تيبيرا في باد تيبيرا حكم (اينمثلوانا) ٤٣٢٠٠سنة وحكم (اينمنجالانا) ٢٨٨٠٠ سنة وحكم (دوموزي) الراعي ٣٦٠٠٠-ثلاثة ملوك حكموا١٠٨٠٠٠ سنة ثم هجرت باد تيبيرا ونقلت ملكيتها إلى لاراك في لاراك حكم (اينسيبازي انا) ٢٨٨٠٠ سنة -ملك واحد حكم ٢٨٨٠٠ سنة وهجرت لاراك ونقلت ملكيتها إلى سيبار في سيبار حكم اينميدورانا ٢١٠٠٠ سنة كملك -ملك واحد حكم ٢١٠٠٠ سنة ثم هجرت سيبار ونقلت ملكيتها إلى شوروباك في شوروباك حكم اوبارتوتو ١٨٦٠٠سنة كملك - ملك واحد حكم ١٨٦٠٠سنة (المجموع) ٥ مدن ٨ ملوك حكمو ٢٤١٢٠٠ سنة ثم اغرق الطوفان البلاد وبعد أن اغرق الطوفان البلاد وهبطت الملكية من السماء مرة ثانية أصبحت كيش مقر الملكية في كيش حكم جا اور ١٢٠٠سنة كملك وحكم (جولا-نيداباناياد)٩٦٠ سنة وحكم بالا كيناتيم ٩٠٠سنة وحكم نانجيشليشما ١٠٠٠ سنة وحكم باحينا

إنقراض السومريين

يعتقد المؤرخ ديلا بورت أن السومريين قد تلاشوا في كفاحهم ضد العيلاميين وقد أحرقت مدنهم واختفت لغتهم ثم أصبحت مدنهم جزء من أكد. كما قال الباحثان دياكوف وكوفاليف في كتابهما الحضارات القديمة بما نصه (العموريين والعيلاميين قضوا على السومريين نهائيا). والعموريين هم قبائل سامية نزحت من الجزيرة العربية وهم أسسوا الحضارة البابلية في عصرها القديم أي عصر حمورابي، بينما العيلاميين هم أقوام تسكن عربستان (غرب إيران حالياً).

اللغة السومرية

- لقد ترك السومريون بعض القطع الأدبية التي ترجمها الباحثون منها ملحمة جلجامش وهي أول عمل أدبي تجاوز بيئته آنذاك وانتشر في أنحاء العالم وتُرجم لأكثر من لغة.
- ترك السومريون عدة أعمال مثل مرثاة أور، وقد أُلفت هذه المرثاة بعد سقوط مدينة أور بيد العيلاميين وهناك مراثٍ أخرى مثل مرثاة سومر، ومرثاة نيبور ومرثاة إريدو ومرثاة أوروك.